وكم بحر سماحة أصبح من بحارها ومددها وكم سنان خطاب استقام بمثقفاتها وكم
صارم قلم مضاربها أسطر من مرهفاتها

لم يبق لي أمل إلا وقد بلغت … نفسي أقاصيه برأيي وإنعاما
لا أفتخر بها والله يقدر لي … مضاعفا عجزت من فضل بهرام ما
لتعطي الأقاليم من لم يبد مشيئته … له فلا عجب أن تعط أعلاما

وكان قد طلع المستعصم في شخص من أمراء الحبيل ... بابن شرف شاه وقال في آخر
كلامه وهو يدبر فزع المستعصم له

ولا تسعدا بدا من تدبر … وكن مع الله على المدبر

وكتب ابن العلقمي أبياتا منها قصيدتها

يا مالكا أرجو بخير له … نيل المنى والفوز في المحشر
أرشدتني لا زلت لي مرشدا … وهاديا من رأيك الأنور
أبنت لي بيتا مني قلته … من شرف من بيتك الأطهر
فضلك فضل ماله منكر … ليس لضوء الشمس من منكر
أن يجمع العالم في واحد … فليس على الله بمستنكر

واشتغل بالحلة على حميد الروساباذي وعاد إلى بغداد وأقام عند خاله عضد الدين
أبي نصر المبارك بن الضحاك وكان أستاذ الدار ولما قبض على مؤيد الدين بن الناقد
وزر ابن العلقمي وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبي البقاء العكبري وحكي
أنه لما كاتب التتار تحيل إلى أن أخذ رجلا وحلق رأسه حلقا بليغا وكتب ما أراد
عليه بالإبر ونقش عليه الكحل وتركه عنده إلى أن طلع شعره وغطى ما كتب فجهزه وقال
إذا وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرؤون ما فيه وكان في آخر الكلام قطعوا
الورقة فضربت عنقه وهذا غاية في المكر والخزي

محمد بن محمد بن علي بن محمد

ابن سليم المصري الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين
ابن حنا ولد سنة أربعين وستمائة وتوفي في سنة سبع وسبعمائة وسمع من سبط
السلفي والشرف المرسي وبدمشق من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وانتهت إليه
رياسة عصره بمصر وكان ذا صون وستر ذو مكارم أخلاق وشكل حسن
وبزة فاخرة إلى الغاية تتناهى في المطاعم والملابس والمساكن ومع ذلك صدقاته كثيرة
وتواضعه وافر ومحبته في الفقراء والصلحاء زائدة وهو الذي اشترى الآثار النبوية على
ما قيل بستين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية
وهي قطعة من العنزة ومرود ومخصف وملقط من فضة ودراهم من ... والوجاهة
ومن السيادة ما لا رآه جده الصاحب بهاء الدين حكى الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله
تعالى أن الصاحب فخر الدين ابن الخليلي لما لبس خلعة الوزارة توجه من القلعة بالخلعة
إلى دار الصاحب تاج الدين وجلس بين يديه وقبل يده فأراد أن يجبره ويعظم قدره
فالتفت إلى بعض غلمانه وطلب منه توقيعا يختص بذلك الشخص فأخذه وناوله لابن
الخليلي وقال مولانا يعلم على هذا التوقيع فأخذه وقبله ووضعه على رأسه وكتب
عليه قدامه وكان فتح الدين ابن سيد الناس إذا حكى هذه الحكاية يقول
وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي ومن أحسن
حركة أخذها ما حكاه الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى في تاريخه قال
حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى قال أخبرني [illegible]
ورأيت ... [illegible] ... وهم يكتبون ... في ألواحهم ...
الألواح وسكنوا ذلك على ... فسألت عن ذلك فقيل لي هذا شرط الواقف
وهذا قصد حسن وعقيدة صحيحة وكان الصاحب بهاء الدين يونس على أولاده

لصلبه

لصلبه وبطنه وكتب له عليه حجة بمبلغ ثلاثين ألف مثقال مصرية ومن وجاهته وهو
وعظمه في النفوس أنه لما نكب على يد الشجاعي جرده من ثيابه وضربه ثم عشر واحد
فوق قميصه ولم يدع أحد من الناس يصل إلى الكرم ذلك مع جبروت الشجاعي وعتوه وتمكنه
من السلطان وكان له شعر حسن فمن ذلك ما كتبه إلى السراج الوراق في حمار سقط في بير قمامة

يعزيك صحابك فاه مضي من ذنبا … ونبا الذي يعزي الأديب وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى … تبنا وراح من البطا لما تالف
ورأى البويرة عز جاف ماؤها … فرمى حشاشته لغشية المخاوف
فهو الشهيد لكم بوافر فضلكم … جدي المكارم لا حمامة خاطف
قوم يموت حمارهم عطشا لقد … أزروا بحاتم في الزمان السالف

فأجابه الوراق بقصيدة على وزنها في غاية الحسن أولها

أدنت ثمار قطوفها اللناطف … ونثت بأنفاس النسيم معاطفي
ولكم بكيت عليه عند مرابع … ومراتع رشت بدمعي الذارف
يجني على عسري وليس بصابر … عما رف تلهيه دون معالف
وقد استمر على القناعة يغتذي … بي وهي في ذا الوقت جل وظائفي
ودعاه للبر الصدي فأجابه … وأغاثه صرف الحمام الآزف
وهو المدل بكفه طالت وما … انثنى حقوق من أني وما لفي
وموافقي في كل ما حاولته … في الدهر غير موافقي ومخالفي
ذو رأي ساقية تطاحون وكم … لتنزل الماء في بنات ويوم صائفي
لكن بما البير راح بنفسه … فليقيه شامات عوت جارف

وبعث الصاحب تاج الدين إلى السراج وقد ولد له ولدا وثلاثة جرايا وكتب مع
ذلك أبياتا خمسة أولها تعنت بها وبالثالث الرفيع فأجابه الوراق بأبيات
أولها

سرت من جانب العز الرفيع … إلى بطيب أنفاس الربيع
مصرعة كأن اليوم منها عصا … وتحيي على حبيب والصريع
دعونا الخمسة الأبيات ستا … لسبع عاشقت فوق الجميع
فدينا من هباتك مذهبات … كأن تحول بها قطع الربيع
تزيد لمس كفك حسن وشي … تحي الروض بالغيث المريع
بها حببت للنفسا لنفسا … ولي معها وللطفل الرضيع
وقد سميت كنيتي بعد ضعف … به البنت الضلوع مع الضلوع

وحكى أنه أضاف جده يوما وتوسع في الضيافة فلما عاد جده إلى بيته
أخذ الناس يتعجبون من همته وكرم نفسه فقال الصاحب بهاء الدين ليس ما
ذكروه بعجيب لأن نفسه متسعة والعجب العجيب كونه طول هذا النهار ومعنا
أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف
الأنواع ما قام من مكانه ولا دعى خادما ولا أشار إليه بيده ولا طرفه وقيل أن
الناس ليحبوا على كثرتهم وشربهم الماء المبرد في كيزان عامة بها زهر فسيلا على
ذلك فيما بعد فقال اشترينا خمسة آلاف كوز ونغشها إلى الجرار قليلا قليلا ليبردوا
ذلك في الكيزان هيهات الذي لهم ولا شك أنه كان عالي الهمة مجدا أسود واعتكف
في زمانه عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام فكتب إليه السراج الوراق

ثلاثة أيام قطعت لطولها … ثلاث شريدات من الحسنات
حجي لك الصاحب ابن محمد … ليجمع بين الحج والحسنات
وما كان قلبي لم يعتر فغدا إلى … لأني بمصر وهو في عرفات

وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال بها يجوع

بجناح ذا التاج مما يرصعه … بدرع تحتت دا لعماكشدة
ممن رأى عنقنا الطويل ولا … يعوك فيه يموت بالحسرة